مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 2 (جوان) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

إشكاليّة المُحدّدات الأنثروبولوجيّة لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط

Problematic of Tribe's Anthropological Determinants in the Maghreb Countries in the middle ages

اسم ولقب المؤلّف المرسل: د.نورالدّين كوسة Noureddine Koussa صص67-81
الدّرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر أ- جامعة سطيف2- الجزائر.
البريد الإلكتروني: koussanoureddine@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2021/03/07 تاريخ المراجعة: 2021/04/04 تاريخ القبول: 2021/04/30

الملخّص باللّغة العربيّة: يهدف هذا المقال الذي جاء بعنوان "إشكاليّة المُحدّدات الأنثروبولوجيّة لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط"؛ إلى المُساهمة في إثراء حقل النّقاش حول القبيلة، باعتبارها من المواضيع الحيويّة؛ الذي ينطوي على مجموعة من الأبعاد والعناصر النّاظمة لبنيته، بما جعله-أي موضوع القبيلة- مُنفتح على جملة من القراءات التي تنتمي إلى حقول معرفيّة مختلفة، من خلال تقديم رؤى وزوايا نظر مُستندة إلى المقاربات المنحدرة من تلك الحقول المعرفيّة، ولعلّ من ضمنها القراءات الأنثروبولوجيّة، التي أفرزت عددا من الرّؤى المرتبطة بهذا الموضوع بوجه خاص، من خلال رصد محدّداته الأنثروبولوجيّة؛ وذلك باستحضار السّياق التّاريخي المُتشابك بالمكوّن الاجتماعي والثّقافي.

ووفق هذا المنحى فإنّ الهدف من هذا المقال ليس التّركيز على تواريخ بعينها، بل استحضار أحداث ونماذج مرتبطة بالقبيلة تفي بالغرض من الدّراسة؛ الهادف إلى رصد محدّداتها الأنثروبولوجيّة ببلاد المغرب في العصر الوسيط؛ خلال المرحلة الواقعة بين القرنين الثّاني والتّاسع الهجريين(2-9هـ/8-13م)، وذلك بالاستفادة ممّا وفّرته الأنثروبولوجيا التّاريخيّة من مكاسب منهجيّة ونظريّة تتّصل بمقاربة هذا الموضوع، وهي مقاربة تقوم على مراعاة عنصر السّياق التّاريخي بمختلف ملابساته وتجنّب القراءات التّعميميّة، على اعتبار أنّ هناك غموض وخلط شديدين فيما يتعلّق بإطلاق مفهوم"القبيلة" بشكل اعتباطي في بعض الدّراسات المُستندة إلى حقول معرفيّة مختلفة، وإسقاطه بشكل تعسّفي على كل

الفضاءات الجغرافيّة ببلاد المشرق أو المغرب أو أقاليم أخرى، دون الأخذ بعين الاعتبار مسألة الخصوصيّة المُميّزة للقبيلة في كل فضاء جغرافي.

الكلمات المفتاحيّة: الأنثروبولوجيا؛ المُحدّدات؛ المقاربة؛ القبيلة، السّياق؛ المفهوم؛ بلاد المغرب؛ المُكوّن الاجتماعي؛ المُكوّن الثّقافي؛ العصر الوسيط.

Abstract: The current article sheds light on the concept of tribe as a debatable anthropological topic. The concept includes a set of dimensions and elements that regulate its structure, and open it to a set of readings belonging to different fields of knowledge. This is by providing insights and perspectives based on anthropological readings. Such an approach resulted in a number of visions related to the topic of tribe; this is by monitoring the topic's anthropological determinants through the historical context intertwined with the social and cultural component. Thus, the present work's aim is not to focus on specific dates, but rather to evoke events and models related to the tribe's topic to monitor the anthropological determinants in the Maghreb's countries in the Middle Ages, during the period between the second and ninth centuries AH (2-9 AH/8-13AD), by exploiting the historical anthropology's methodologies and theories related to the present work's approach. An approach based on considering the historical context with its variances, and avoiding general readings due to the ambiguity and confusion regarding the arbitrariness of tribe's concept in certain studies in the East or Maghreb's geographical spaces where the issue of the tribe's particularity in each geographical space is not considered.

Keywords: Anthropology; Determinants; Approach; Tribe; Context; Maghreb; Concept; Social component; Cultural component; Middle Ages.

المقدّمة: تندرج مساهمتنا ضمن هذا المقال في إطار المسعى الهادف إلى البحث في المحدّدات الأنثروبولوجيّة لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط؛ آخذين بعين الاعتبار الاعتماد على الكتابات التّاريخيّة التي أرّخت لموضوع القبيلة خلال هذه المرحلة، الواقعة بين القرنين الثّاني والتّاسع الهجريين (2-9هـ/8-13م)، بغرض بناء استنتاجات ورؤى استنادا إلى ما وفّرته الأنثروبولوجيا التّاريخيّة من مكاسب منهجيّة ونظريّة، تُفضي إلى رصد خصوصيّة التّنظيمات القبليّة بالمغرب الوسيط، من حيث أدوارها التّاريخيّة في علاقتها الجدليّة بالمكوّن الاجتماعي والثّقافي، وهي محاولة تنطوي على رغبة في تجديد القراءات التّاريخيّة، من خلال تطعيمها بزوايا نظر ناشئة من التقاء المعرفة التّاريخيّة بالأنثروبولوجيا.

وقد جاء هذا المقال في مجموعة من العناصر، فكانت البداية بالتطرّق إلى أهمّية توظيف المقاربة الأنثروبولوجيّة التّاريخيّة في دراسة موضوع القبيلة، ثم انتقلنا إلى إبراز كيفيّة تأثير هيمنة المكوّن القبلي بالمغرب الوسيط؛ في التّحفيز على البحث في محدّداته الأنثروبولوجيّة، وهو ما قادنا إلى إثارة آليات استعراض تلك المُحدّدات الأنثروبولوجيّة ذات الصّلة بموضوع القبيلة، مركّزين بوجه خاص على السّياق التّاريخي المرتبط بدور القبيلة في تأثيث البناء الاجتماعي، وكذا السّياق التّاريخي المرتبط بدور القبيلة في الحياة السّياسيّة وعلاقته الجدليّة بالمكوّن الثّقافي في المغرب الوسيط، مقسّمين إيّاه إلى مرحلتين مفصليّتين، وأنهينا المقال بخاتمة اشتملت على مجموعة من النّتائج.

1-أهمّية توظيف المقاربة الأنثروبولوجيّة التّاريخيّة في دراسة موضوع القبيلة: على اعتبار أنّ موضوع القبيلة يقع على أرضيّة مشتركة بين عدد من تخصّصات عائلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة؛ فقد كان لهذه الخصوصيّة إسهامات مباشرة في تعدُّد المداخل النّظريّة لمقاربة هذا الموضوع الحيوي، غير أنّ تناول موضوع القبيلة وفق المداخل النّظريّة لبعض التخصّصات؛ كشف عن جملة من المزالق المنهجيّة التي رافقت هذا الحضور، من خلال إطلاق مفهوم "القبيلة" بشكلٍ اعتباطيٍّ في كثير من تلك الدّراسات والأبحاث؛ وإسقاطه بشكلٍ تعسُّفيٍ على كل الفضاءات الجغرافيّة ببلاد المشرق أو المغرب أو أقاليم أخرى، دون الأخذ بعين الاعتبار مسألة الخصوصيّة المُميّزة للقبيلة في كل فضاء جغرافي.

وقد مثّلت المقاربة الأنثروبولوجيّة التّاريخيّة بما تحوزه من بنية منهجيّة ومعرفيّة باعتبارها "حصيلة تقارب متبادل بين العلمين"[1]، أي التّاريخ والأنثروبولوجيا؛ أحد المداخل النّظريّة التي ساهمت في تقديم رُؤى ورصد ووجُهات نظرٍ فيما يتعلّق بموضوع القبيلة بوجه خاص، بما يندرج ضمن سياق النّقلة النّوعيّة لهذا التّخصّص المعرفي الواعد؛ الذي انتقل "من دراسة الشّعوب إلى دراسة الموضوعات"[2]، من خلال الارتكاز على المُعطى التّاريخي؛ بغرض تشكيل تصوّرات وبناء استنتاجات نابعة ممّا يتّسم به لقاء الأنثروبولوجيا بالتّاريخ من ليونة في إثراء المعرفة التّاريخيّة، وتوسيع زوايا النّظر المرتبطة بالموضوع المدروس، بما ينسجم ومقاصد الانفتاح على هذا النّوع من المقاربات المستحدثة في الكتابات التّاريخيّة، وبهذا فإنّ قاعدة الارتكاز المحوريّة التي أفضت إلى تبنّي ما صار يُعرف بالمقاربة الأنثروبولوجيّة التّاريخيّة في الدّراسات التي كانت حكرا على التّاريخ التّقليدي؛ قد انبنت على

نتائج مسار انفتاح التّاريخ على التخصّصات الأخرى؛ تأتي على رأسها الأنثروبولوجيا، ضمن إطار ما عُرف "بالتّاريخ الجديد"[3]، وهو ما يُدعّم الرّأي السّائد بين عدد من المؤرّخين "بأنّ مختلف المقاربات المنجزة في الأنثروبولوجيا التّاريخيّة قد سمحت بتدقيق أفضل لأساليب البحث والتّناول بصرف النّظر عن المجالات الجغرافيّة والفترات التّاريخيّة المقصودة بالدّرس"[4]، ولذا فإنّ مفهوم القبيلة الذي "تمّت استعارته من قاموس المؤسّسات السّياسيّة القديمة...قد وقع توظيفه أوّلا من قبل التطوُّريّين خلال القرن التّاسع عشر للدّلالة على التّنظيم السّياسي لمجتمعات موجودة في حقبة معيّنة من تطوّر البشريّة"[5]، وما لبث هذا المفهوم يأخذ حمولة دلاليّة مُتباينة وفق ما أفضى إليه التطوّر في مسار البحوث الأنثروبولوجيّة في الاشتغال على هذا الموضوع الحيوي ضمن بيئات جغرافيّة مُختلفة؛ بما تنطوي عليه تلك البيئات من أنساق اجتماعيّة وثقافيّة.

وهكذا فإنّ القبيلة قد أُعتُبِرت من ضمن المواضيع التي عُرِفت بحضورها اللاّفت ضمن حقل الدّراسات الأنثروبولوجيّة بشكل مُثير للانتباه، حيث رافقت هذا التخصُّص المعرفي منذ بداياته الأولى، وواكبت مسيرة تبلور أُسُسِه النّظريّة والمنهجيّة؛ وضمن هذا السّياق فقد "كشف غولدييه (**Goldier**) كيف أبانت أزمة مفهوم القبيلة على الأُسس التّجريبيّة للمسيرة الأنثروبولوجيّة"[6]، بما عزّز طموح الأنثروبولوجيّين لمضاعفة جهودهم بغرض تقديم طُروحات تُفضي إلى مُلامسة بعض نقاط الظّل التي تُميّز هذا الموضوع الحيوي، ولا شكّ أنّ المسيرة التي قطعتها الدّراسات الأنثروبولوجيّة قد ساهمت في إعادة النّظر في كثيرٍ من المسلّمات المرتبطة بالقبيلة، فبعد أن كان التصوّر السّائد لدى الأنثروبولوجيّين يميل إلى اعتبار التّنظيم القبلي يتميّز بخاصّية التّشابه في البنيات المكوّنة له والأنساق التّنظيميّة التي تَحْكُمُه[7]، وهي الفكرة التي تبنّاها التطوُّريّون لفترة طويلة[8]، فقد انبثقت رؤى جديدة إنبنت على الرّصيد المعتبر من الأبحاث المعمّقة التي تُقِرُّ ب"البُعد الإقليمي للقبيلة"[9].

وهو ما أفضى إلى دحض فكرة الخصوصيّة المشتركة للتّنظيمات القبليّة، وفتح الباب على رؤى جديدة؛ تعزّزت بإنتاج مداخل نظريّة ومفاهيم إجرائيّة ساعدت على وضع حدٍّ لتلك الإسقاطات التّعسّفيّة للقبيلة بمعزل عن الاعتبارات ذات الصّلة بالسّياقات الزّمانيّة المرتبطة بالبُعد التّاريخي للقبيلة؛ من حيث أدوارها المختلفة ضمن سياق علاقتها الجدليّة

بالأنساق الاجتماعيّة والثّقافيّة، ولذا فإنّ من أهم ما قدّمته المُقاربات الأنثروبولوجيّة التّاريخيّة من مكاسِب منهجيّة بخصوص البحوث ذات الصّلة بموضوع القبيلة بشكل عام؛ أنّه لم يَعُد مقبولا وفق تلك الرّؤى تبنّي المفهوم الشّائع عن القبيلة، وهو المفهوم المطلق والمنفتح؛ التّبسيطي في دلالاته، بل أضحى من الضّروري مراعاة عامل الخصوصيّة، من خلال استحضار الحمولة الأنثروبولوجيّة التي تؤثّث موضوع القبيلة؛ بأبعاده التّاريخيّة المُتشابكة بالمكوّن الاجتماعي والثّقافي.

وعلى اعتبار أنّ تلك المقترحات المنهجيّة المُشار إليها كانت عبارة عن تصوّرات نظريّة؛ إذ لم تُقْرَن بفضاء جغرافي مُعيّن، فقد كان للمفكّر **جاك بيرك**(**Berque** .j)،الفضل في إكسابها بعض المشروعيّة، من خلال وضع تلك المقترحات موضع الاختبار[10]، ولذا فإنّ بيرك "كان أوّل من نبّه إلى خطر اعتبار قبائل شمال إفريقيا بغير ماهي عليه"[11]، وهو ما جعل هذا الرّأي من البصمات التي تُضاف إلى مساهمات هذا المفكّر في مجال البحوث ذات الصّلة بالفضاء المغاربي بشكل عام والقبيلة بوجه خاص، من حيث "القدرة على وضع الجزئي في إطار الكلّي، وتفسير الكلّي على ضوء عناصره المتفاعِلة بمنظورٍ لا يُغفِل امتدادها التّاريخي"[12].

والمعروف عن جاك بيرك انفتاحه على مختلف مناهج العلوم الإنسانيّة؛ حيث تميّز بموسوعيّته، إذ جمع بين الاهتمامات السّوسيولوجيّة، والتّاريخ الاجتماعي، والأنثروبولوجيا، وهو ما أتاح "لهذا الأنثروبولوجي ملكة صياغة الإشكاليّات التي يمكن أن ينشأ منها التّفكير حول التحوّلات الجارية"[13]، ويبدو أنّ "معرفة جاك بيرك العميقة بإفريقيا الشّماليّة قد جنّبته السّقوط في فخ الإستشراق"[14]، وهو المعروف أيضا بتأثّره الشّديد بأفكار ابن خلدون المبثوثة ضمن مقدّمته الشّهيرة في قراءاته للمجتمعات المغاربيّة[15].

2- هيمنة المكوّن القبلي بالمغرب الوسيط؛ كمحفّز للبحث في مُحدّداته الأنثروبولوجيّة: لا شكّ أنّ من دواعي التّحفيز على البحث في المحدّدات الأنثروبولوجيّة لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط، ما تميّز به هذا الأخير من خصوصيّات ناظمة لنسيجه الاجتماعي، والتي كان من أبرز مظاهرها؛ هيمنة المكوّن القبلي، الذي شكّل أحد أبرز السّمات المُميّزة للمنطقة خلال تلك المرحلة، وقد تفاعلت أغلب المصادر التّاريخيّة التي أرّخت للمغرب الوسيط مع هذا المكوّن القبلي، وأفردت له حيزا واسعا من اهتماماتها، وإذا كانت

تلك المصادر التّاريخيّة المشار إليها؛ تميل بوجه خاص إلى التّركيز على كل ما يتعلّق بأصول تلك القبائل وتصنيفها، فإنّها لم تتناول جلّ القبائل التي كانت تشغل هذا الفضاء الجغرافي، إذ تمّ التّغاضي عن عدد منها أو ربّما تمّ إغفال ذكر بعضها دون قصد، وهو ما يمكن إيعازه إلى صغر حجم تلك القبائل أو انزوائها ضمن مناطق وعرة، ممّا حال دون معرفتها، وهو ما عبّر عنه ابن خلدون باعتباره أهم من أرّخ للقبائل البربريّة، بقوله "فلنرجع إلى تفصيل شُعوبهم وذِكرهم أمّة بعد أمّة ونقتصر على ذكر من كانت له منهم دولة ملك أو سالف شهرة أو تشعّب نسل في العالم وعدد لهذا العهد وما قبله من صنفي البتر والبرانس منهم"[16].

غير أنّ تلك المصادر التّاريخيّة العربيّة والتي يأتي على رأسها كتاب العبر لابن خلدون، قد فصلت في مسألة التّصنيف الخاص بالقبائل البربريّة، حيث حصرته ضمن "...صنفي البتر والبرانس..."[17]، وقد عُدَّ هذا التّصنيف الأكثر شهرة وقبولا، "في غياب الأفضل"[18]، برغم ما تعرّض له من نقدٍ من قبل بعض المؤرّخين الغربيّين، حيث توجّه النّقد بوجه خاصٍّ إلى كون "أسباب هذا التّقسيم-البتر والبرانس- ليست واضحة، والشّروح التي أُعطيت حتّى الآن، غالبا أسطوريّة جدّا، وهي ليست كافية"[19]، إلاّ أنّ الخلاف بين المصادر التّاريخيّة بقي قائما فيما يتعلّق بأصول شعوب البربر، وقد أشار ابن خلدون إلى هذا السّجال، مُبيّنا حجم الاختلاف الذي وقع بين النسّابة حول هذه المسألة، إذ يقول"...وأمّا إلى من يُرجِع نسبهم من الأمم الماضية، فقد اختلف النسّابون في ذلك اختلافا كثيرا وبحثوا فيه طويلا... "[20]، ولذا فقد تبنّى بعض النسّابة لطرح يقول بالأصول المشرقيّة السّامية لشعوب البربر، في حين ذهب آخرون إلى نفي هذا الطّرح، من خلال تبنّي وجهة نظر أخرى تقول بالأصول الإفريقيّة الحامية لتلك الشّعوب دون سواه.

ومهما بلغت درجة الخلاف بين المصادر التي أرّخت للمغرب الوسيط، فإنّ تلك المصادر قد وفّرت للباحثين والمهتمّين بتاريخ هذه المنطقة مادّة خبريّة لا يُستهان بأهمّيتها، وبوجه خاص تلك التي تتعلّق بموضوع القبيلة، والتي أضحت مجالا خصبا للدّراسات من زوايا نظر عديدة، ووفق مقاربات مختلفة، من ضمنها المقاربة الأنثروبولوجيّة التّاريخيّة، بما يُعزّز الرّأي القائل بأنّ اللّجوء "للمناهج المتّبعة في الأنثروبولوجيا التّاريخيّة تأثير مباشر أو غير مباشر في تجديد إشكاليّاتها وتطوير تساؤلاتها، فحتّى المصادر التّقليديّة، تلك التي لم يفتر

المؤرّخ عن مساءلتها، أضحت تعرض نفسها بطريقة مختلفة على ضوء ما وفّرته المناهج الأنثروبولوجيّة"[21].

3- آليات استعراض المُحدّدات الأنثروبولوجيّة لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط: لا شكّ أنّ المسار التّصاعدي للدّراسات الأنثروبولوجيّة والتحامها بالمعرفة التّاريخيّة، قد أدّت إلى اقتراح مُقاربة حول موضوع القبيلة، والتي تُعتبر مكسبا يُساهم في إثراء التصوّرات المنهجيّة بغرض تقديم قراءات من زوايا نظر جديدة ومغايرة للطّروحات التّقليديّة، وهي قراءات ستُلقي الضّوء على بعض العناصر النّاظمة لبنية القبيلة ضمن سياقات تاريخيّة واجتماعيّة وثقافيّة مرتبطة بفضاء جغرافي معيّن، من خلال إعادة النّظر في تلك القراءات ذات النّزعة التّعميميّة؛ التي تتأسّس على الرّؤية الشّموليّة، وبالتّالي التّشديد على أهمّية مراعاة الخصوصيّة التي تقوم بالأساس على استحضار عنصر السّياق.

ووفق المنحى المُشار إليه آنفا، فإنّ آليات استعراض المحدّدات الأنثروبولوجيّة المرتبطة بموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط، لا يمكن عزلها عن استحضار السّياقات التّاريخيّة التي ميّزت بلاد المغرب، وهو ما يُفضي إلى الكشف عن الأدوار المحوريّة التي اضطلعت بها القبيلة ضمن النّسق العام؛ الذي طبع المنطقة خلال تلك المرحلة من العصر الوسيط، بما تنطوي عليه تلك الأدوار من أبعاد اجتماعيّة وسياسيّة متشابكة بالمكوّن الثّقافي، وهي قراءة تأتي استنادا إلى ما وفّرته الكتابات التّاريخيّة، بحيث تمكّننا تلك القراءات من بناء استنتاجات تتعلّق بخصوصيّة وتفرّد القبيلة بالمغرب الوسيط؛ إذا ما قُورنت بغيرها من التّشكيلات القبليّة ضمن فضاءات جغرافيّة أخرى.

ولعلّ ما تجدر الإشارة إليه أنّ التّعامل مع تلك المقترحات المنهجيّة التي وفّرتها الأنثروبولوجيا التاريخيّة ينبغي أن يُقابل بشيء من الحذر والتريّث، وعدم إطلاق الأحكام المتسرّعة؛ حول النّتائج التي يُمكن أن تُفضي إليها تلك المقترحات المُشار إليها، بخصوص بعض جوانب الإضافة المُحقّقة، وما تُتِيحه من رؤى جديدة في إثراء التصوّرات المرتبطة بقراءة موضوع القبيلة، التي تتأسّس على تصوّرات نابعة من تلك العلاقة الجدليّة بين المعرفة التّاريخيّة وآليات التّحليل الأنثروبولوجيّة[22]، بما يؤدّي إلى إفراز رؤى حيال موضوع القبيلة؛ لا تخرج عن صميم ما هو تاريخي، ولكن وفق قالب تحليليّ مُستجد، يرتكز بالأساس

على المادّة التّاريخيّة ليبني من خلالها استنتاجاته، وهو ما سيتم استعراضه في العناصر الموالية، آخذين بعين الاعتبار الاعتماد على السّياق التّاريخي كمرتكز في عمليّة التّحليل.

4- السّياق التّاريخي المرتبط بدور القبيلة في تأثيث البناء الاجتماعي للمغرب الوسيط: لا تكاد أغلب الدّراسات المهتمّة بتاريخ المغرب الوسيط في شّتى مجالاته، تُغفل الإشارة إلى القبيلة بشكل مُعلن أو غير مُعلن، وهذا بفعل جملة من الاعتبارات المُرتبطة بالمكانة الهامّة التي شغلتها هذه الأخيرة في تأثيث البناء الاجتماعي للمغرب الوسيط، وهو ما يكشف عن أهمّية هذا الموضوع الحيوي؛ ومدى ارتباطه بمختلف العناصر النّاظمة للاقتصاد والسّياسة، ولعلّ ما يسترعي الانتباه أنّ القبيلة المغاربيّة عادت لأداء أدوارها الحيويّة بشكل لافت مع بداية المرحلة الوسيطة التي عرفت نهاية النّفوذ الرّوماني بالمنطقة، غير أنّ هذا لا ينف غياب القبيلة عن مسرح الأحداث الاجتماعيّة والاقتصاديّة في بلاد المغرب، خلال مراحل سابقة للحضور الرّوماني، وكذا خلال مرحلة الوجود الرّوماني أيضا، غير أنّ تلك الأدوار تم تحجيمها، إذ "لم يُلغ الاستعمار الرّوماني النّموذج القبلي بل أجّله"[23].

وإذا كان حضور القبيلة كبنية اجتماعيّة في المغرب الوسيط ظاهرة لها امتدادات تاريخيّة على غرار بقيّة الأقاليم والفضاءات الجغرافيّة الأخرى في العالم الوسيط، فقد سجّلت بعض الدّراسات التّاريخيّة حالة من التوثُّب والحراك القبلي منذ منتصف القرن الخامس للميلاد، والذي تزامن والمرحلة التي سبقت الفتح الإسلامي للمنطقة بقليل، حيث سجّل بعض الدّارسين لهذه المرحلة "ازدياد الظّاهرة القبليّة منذ العهد الفندالي"[24]، وهو وضع على ما يبدو جاء كردّ فعل على "انهيار التّنظيم الاجتماعي والاقتصادي الذي فرضته الإمبراطوريّة الرّومانيّة، وهو مرتبط بذوبان طُرق الإنتاج عن طريق الاستعباد"[25].

ولذا فإنّ نهاية النّفوذ الرّوماني بمنطقة المغرب قد ساهمت في إحداث تغييرات واضحة المعالم بشكل آني، حيث أفرزت ارتدادات سايرت التّحوّلات الجديدة التي عرفتها المنطقة، والتي بدأت مع تراجع النّفوذ الرّوماني ثم انكماشه التّدريجي وأفوله، وقد عجّل ذلك ببعث حَرَاكٍ في الظّاهرة القبليّة، والذي بدأت آثارُه تظهر تدريجيّا مع قدوم الونداليّن، وقد كان ذلك سببا في إعادة "الرّوابط القبليّة لتكون في مقدّمة الرّوابط الاجتماعيّة"[26]، وبهذا فإنّ القبيلة قد أضحت "ملجأ أخيرا للحماية من الأخطار الخارجيّة وتنظيم شؤون

الحياة اليوميّة على المستوى الدّاخلي في ظل حالة الفوضى وغياب أي سلطة يمكنها القيام بمثل هذه الأدوار"[27].

وهو لا يُمثّل انتكاسة في وضع البناء الاجتماعي للمغرب الوسيط، "بل إنّه يشكّل جوابا مُحدّدا تاريخيّا بالنّسبة لقضيّة المغرب"[28]، والذي جاء كنتيجة لمسار أفضت إليه السّياقات التّاريخيّة التي عرفها المغرب الوسيط، بما انطوت عليه تلك السّياقات من أبعاد اقتصاديّة واجتماعيّة في علاقتها الجدليّة بالأوضاع السّياسيّة؛ التي ميّزت المرحلة الأخيرة من الوجود الرّوماني، ومع حلول القرن السّابع للميلاد أضحى بالإمكان رصد النّسيج القبلي في المغرب الوسيط بوضوح، من حيث أسماء تلك القبائل، ومن حيث توزيعها على المجال الجغرافي لمنطقة المغرب.

5- السّياق التّاريخي المرتبط بدور القبيلة في الحياة السّياسيّة وعلاقته الجدليّة بالمكوّن الثّقافي في المغرب الوسيط: بقدر مُمارسة القبيلة لأدوار مركزيّة في تأثيث البناء الاجتماعي للمغرب الوسيط كما أتينا على ذكره في العنصر السّابق، فقد امتدّت إلى أدوار أخرى لا تقلّ أهمّية؛ وبوجه خاص تلك الأدوار المُتعلّقة بالتّأثير في المشهد السّياسي، والتي يُمكن رصدها ضمن مرحلتين مفصليّتين[29]، وهو تقسيم أملته جملة من الأسباب ذات الصّلة بالعوامل التي تحكّمت في رسم معالم العلاقة بين التّنظيمات القبليّة والسّياسة، حيث تحدّدت في ضوء كل واحدة منهما أدوار القبيلة كفاعل في الحياة السّياسيّة للمغرب الوسيط؛ تحت تأثير المكون الثّقافي الذي إنبنت في ضوءه مرتكزات ومعالم تلك العلاقة.

1.5- المرحلة الأولى؛ الفترة السّابقة للنّصف الثّاني من القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد (5هـ/11م): لا شكّ أنّ من ضمن الخصائص التي لازمت التّنظيمات القبليّة بالمغرب الوسيط خلال هذه المرحلة، هو دخُولها في علاقة جدليّة بالمُمارسة السّياسيّة ضمن إطار مُغلّف بالقالب الدّيني في بُعْدَه المذهبي، وذلك لأنّ المخيال المجتمعي الذي يتغذّى على المكوّن الثّقافي بالمغرب الوسيط خلال هذه المرحلة، كان مُهيّئا لتقبُّل فكرة الانخراط في الدّفاع عن المشاريع المذهبيّة ذات المَنْزَع الثّوري التّجديدي، "والحركة الفاطميّة مثال مُبكّر لذلك"[30]، ويبدو أنّ توظيف الفكرة الدّينيّة التي تقوم على الفعل الثّوري التّجديدي؛ تنطوي على جملة من المحفّزات المعنويّة التي تضمن قبول تلك الفكرة والسّعي للتّرويج لها

والاستماتة في الدّفاع عنها، من خلال الانخراط في المآسي التي تُفضي إليها الحروب والنّزاعات من أجل إقامة تلك الفكرة.

ليس غريبا أن تنجح أغلب الحركات الدّينيّة ذات الصّبغة المذهبيّة في كسب ولاء التّنظيمات القبليّة بالمغرب الوسيط خلال تلك المرحلة، بما أتاح للقبيلة مُمارسة أدوار محوريّة في الحياة السّياسيّة، "إلاّ أنّ المحتوى الموضوعي للعقيدة يأتي بعد تقديمها من خلال قنوات مُعيّنة هي من فعل التّراث والعادة"[31]، والتي تجد حضورها ضمن الحقل الثّقافي، الذي يُلائِم أشكال التّديُن السّائدة لدى القبائل البربريّة خلال هذه المرحلة، فهي وإن كانت تَدين بالإسلام باعتباره الدّيانة الرّسميّة التي اعتنقتها أغلب تلك القبائل، غير أنّ كثير من التمثّلات المرتبطة ببعض المسائل الوجوديّة تستمدّ مرتكزاتها من الثّقافة الشّعبيّة وتغرفُ من رصيدها الرّمزي، حيث تميل لفكرة المهدي المُخلِّص بما تنطوي عليه من حمولة رمزيّة.

حيث "تستند فكرة المهدي المنتظر إلى إيديولوجيا جاهزة لا تقوم على تغيير الأُسُس الاقتصاديّة والسّياسيّة والاجتماعيّة، فالتّغيير المنشود يتمُّ بانتظار معجزةٍ ربّانيّة وترقّب الشّخص الذي يملك الكرامات الكافية والخوارق اللاّزمة لتجسيد الفكرة"[32]، وهو ما يُفصِح عن أهمّية المكوّن الثّقافي كفاعلٍ أساسيٍّ في رسم معالم علاقة القبيلة بالسّياسة، "وهنا تغدو الأنثروبولوجيا ضرورة في دراسة السّياسة"[33]، ولذا فقد أضحى من المُتعذَّر خلال هذه المرحلة المُشار إليها، رصد تشكُّل أي كيان سياسي بمعزل عن حضور العنصر القبلي أو بتأثير مباشر منه، لأنّ "التّنظيم القبلي على مستوى مُعيّن من تطوّره يحمل مشروع حكومي، هذا المشروع الحكومي تشرحُه سيطرة القبيلة في قالب التّجديد الدّيني الذي يُكوّن وسيلة توحيد مافوق قبيلة"[34]، وإذا كان التّأثير في الجانب السّياسي المُغلّف بالقالب الدّيني خلال هذه المرحلة سمة لازمت أغلب القبائل، فإنّ هناك تفاوت في مستوى ذلك التّأثير، الذي فرضته عوامل مرتبطة بمكانة تلك التّنظيمات القبليّة، بما تحوزه من عناصر تأثير مجاليّة وبشريّة واقتصاديّة، وهو ما يكشفه الاطّلاع على إسهامات بعض القبائل البربريّة الكبرى بالمغرب الوسيط[35]، باعتبارها نماذج بارزة بخصوص علاقة التّنظيمات القبليّة بالسّياسة.

وكمثال مبكّر بخصوص ما أشرنا إليه، فإنّ قبيلة زناتة لم تشُذ عن قاعدة الانخراط في مُمارسة أدوار سياسيّة على غرار بقيّة القبائل البربريّة الكُبرى، فهي كما ذكرها ابن

خلدون "هذا الجيل في المغرب جيل قديم العهد معروف العين والأثر"[36]، وقد تفاعلت هذه القبيلة مع الحركات السّياسيّة في المغرب الوسيط التي تغذّت على المُكوّن المذهبي منذ وقت مبكّر[37]، حيث كان للزناتيين إسهام كبير في دعم الدّعوة الإدريسيّة، "وبثّو دعوة إدريس وبنيه من أهله بعده في أهله من زناتة مثل بني يفرن ومغراوة وقطعوه من ممالك بني العبّاس، واستمرّت دولتهم إلى حين انقراضها على يد العبيديين"[38]، وقد مثّلت جموع زناتة فيما بعد زمن الفاطميّين وقودا للحركة الاحتجاجيّة التي قادها أبو يزيد "فكان لبني يفرن بالمغرب وإفريقية على يد صاحب الحمار"[39].

كما ساهمت كتامة باعتبارها من القبائل ذات المكانة الكبرى بالمغرب الأوسط خلال هذه المرحلة؛ في احتضان الدّعوة الشّيعيّة والتّمكين للكيان السّياسي الفاطمي[40]، والذي رافقه "تحمّس النّاس لفكرة المهدي الذي يأتي لينقذ النّاس من ظلم حكّامهم، وينشر العدل والمساواة بين مختلف طبقات المجتمع"[41]، وهو ما حفّز المجتمع القبلي الكتامِي على الانقياد للدّعوة الشّيعيّة والانخراط في هذا المشروع الجديد، إذ "...خرج كتامة على بني الأغلب بدعوة الرّافضيّة..."[42]، وقد مثّلت قبيلة كتامة بهذا الاحتضان أحد أبرز النّماذج التي جسّدت تحالف المشروع السّياسي بالمكوّن المذهبي، من خلال الاستثمار في عناصر القوّة والنّفوذ المُميّزة لهذه القبيلة الكبرى بالمغرب الأوسط، فهي كما وصفها ابن خلدون"...من قبائل البربر بالمغرب وأشدّهم بأسا وقوّة، وأطولهم باعا في الملك..."[43].

والجدير بالإشارة أنّ الدّور الذي مارسته قبيلة كتامة كفاعل في الحياة السّياسيّة قد مُورس أيضا من قبل باقي القبائل البربريّة الكبرى، وهو ما لُوحظ عن قبيلة صنهاجة[44]، فبعد مولاتهم للعبّاسيين تحت وصاية الأغالبة، وهذا زمن منّاد بن منقوش؛ الذي "...ملك جانبي إفريقية والمغرب الأوسط مقيما لدعوة ابن العبّاس، وراجعا إلى أمر الأغالبة..."[45]، فإنّ تغيُّر موازين القوى السّياسيّة لصالح الفاطميين قد حفّز صنهاجة زمن ابنه زيري بن منّاد على التّحيُّز لهم "...ولمّا استوسق المُلك للشّيعة بإفريقية تحيّز لهم... وكان من أعظم أوليائهم..."[46]، وبهذا فإنّ الولاء الذي أبدته صنهاجة إلى جانب الدّولة الفاطميّة قد كان سببا في رسم معالم علاقة قويّة بين الطّرفين، حيث تُوّجت بتمكين الصّنهاجيّين من إدارة شؤون المغرب، وذلك لأنّ الخليفة الفاطمي المعز قبل رحيله إلى مصر بحث عن حليف قوي

مضمون الولاء "...وبه الوثوق من صِدْقِ التَّشيُّعِ ورسوخ القدم في دراية الدّولة فعثر اختياره على بلكين بن زيري بن منّاد..."[47].

أمّا عن قبيلة مصمودة بالمغرب الأقصى، فقد ساهمت هي الأخرى بقسط وافر في تأثيث المشهد السّياسي، إذ شكّلت حجر الأساس في قيام الكيان السّياسي لدولة الموحّدين وفق نسق التّحالف الذي ميّز هذه المرحلة[48]، وعلى اعتبار "أنّ العقيدة هي المبدأ الذي يجمع بين شضايا الوسط القبلي"[47]، فقد كان لانبعاث المذهب الموحّدي الذي يقوم على الفكرة المهدويّة عاملا حاسما في استقطاب العناصر القبليّة وانخراطها ضمن هذا المذهب التّجديدي الثّوري، لأنّ "...فكرة وجود شخصيّة مقدّسة جذّابة، هي أساسيّة للمهديّة تُناسِب التّديّن الخاص لدى قبائل البربر في الشّمال الإفريقي جميعا"[50]، وهو ما أضفى على المشروع الموحّدي عناصر قوّة رمزيّة جديدة، "...حتّى كان اجتماعهم على المهدي وقيامهم بدعوته فكانت لهم دولة عظيمة أدالت من لمتونة بالعدوتين، ومن صنهاجة بإفريقيا حسبما هو مشهور..."[51].

2.5- المرحلة الثّانية؛ ما بعد النّصف الثّاني من القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد (5هـ/11م): لقد تميّزت المرحلة الثّانية بظهور جملة من المستجدّات التي ساهمت في إحداث تغيُّرات كبيرة لامست البنية القبليّة بالمغرب الوسيط، حيث كان للأحداث التّاريخيّة المستجدّة التي ميّزت هذه المنطقة؛ والتي أخذت ملامحها في التشكّل بوضوح على جغرافيّة المنطقة منذ النّصف الثّاني من القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد، دورا حاسما في تطعيم النّسيج القبلي، من خلال ولوج تنظيمات قبليّة وافدة من المشرق؛ اتّسمت بطابعها البدوي القائم على حياة الرّعي والتّرحال، ضمن سياق ما عُرف تاريخيّا بالهجرة الهلاليّة أو تغريبة بني هلال[52]، ولذا فإنّ الانتشار التّدريجي للقبائل الهلاليّة بالفضاء المغاربي الوسيط قد انعكس على التّوزيع المجالي للمكوّن القبلي بالمنطقة، وهو الانتشار الذي يندرج ضمن "صنف التحرّكات الجماعيّة المُكتسِحة القائمة على التّنافس وما يتبعه من صراع وتحالفات قبليّة محدودة أو موسّعة"[53].

بما أفضى إلى إحداث تأثيرات مُعتبرة مسّت النّسيج الاجتماعي لمجتمع المغرب الوسيط الذي يقوم بالأساس على المكوّن القبلي، كما أفرز أدوارا جديدة للقبيلة ضمن مسرح الأحداث السّياسيّة بالمغرب الوسيط انسجمت وخصوصيّات هذه المرحلة، حيث شهِدت

ضمورا للتّحالفات ذات الصّبغة الدّينيّة المُغلّفة بالنّزعة المذهبيّة، التي انخرطت فيها القبيلة خلال المرحلة السّابقة، وطفت إلى السّطح تلك الأدوار المُقترنة بالتّحالفات المبنيّة على المصلحة المُتبادلة والمتناقضة في الآن نفسه؛ بين التّنظيمات القبليّة والكيانات السّياسيّة القائمة، أو التي هي في طور التشكّل بالمغرب الوسيط "بما يمكن أن يُسمّى بظاهرة الدّولة وصيرورة الحكم"[54]، وهي أدوار قامت على مُتلازمتي الحرب والتّحالف، بغرض التوسّع وتملُّك المجال المكاني.

وقد تغذّت هذه الأدوار على ما أنتجته السّياقات التّاريخيّة المُمَيّزة لهذه المرحلة من بنية ثقافيّة، والتي ساهمت في تأطير الأدوار الجديدة للقبيلة ورسم معالم وأشكال علاقاتها المرتكزة على ثقافة الارتزاق، مُستفيدة من حالة التشتّت السّياسي الذي ظهرت بوادره بعد تراجع نفوذ دولة الموحّدين، إذ لا يُمكن إغفال المُساهمات الفعّالة للتّنظيمات القبليّة الهلاليّة بوجه خاص خلال هذه المرحلة في ما يتّصل بدعم بعض الكيانات السّياسيّة، إذ "رضي العرب أن يكونوا اليد التي يبطش بها الحكّام ضمن سياسة تبادل المنافع التي تحفظ للسّلطة هيبتها، وللعرب مصالحهم الاقتصاديّة بجانب خصوصيّتهم الاجتماعيّة"[55].

وهي ظاهرة لازمت أغلب الدّول والكيانات السّياسيّة التي قامت في المغرب الوسيط خلال هذه المرحلة؛ مُكرّسة بذلك تلك العلاقة الجدليّة القائمة بين القبيلة والسّلطة، حيث "تعاملت معهم القوى الإسلاميّة التي انحازوا إليها بقدر كبير من المنفعة السّياسيّة والعسكريّة"[56]، وقد انخرطوا في الدّفاع عنها وحماية مجالات نفوذها، وهو انخراط ميّزه التّنافس بين تلك القبائل على التقرّب من تلك القوى والكيانات السّياسيّة القائمة بالمغرب الأدنى، والأوسط، والأقصى، كمسعى لضمان تمكينهم من مناطق نفوذ جديدة، وما ينجُم عن ذلك من مكاسب ماديّة، وهو ما يُفصح على أنّ "للقبائل في ذلك الوقت تأثيرات قويّة على دول المنطقة، كما كانت عامل اضطراب وعدم استقرار في ربوع المغرب الإسلامي"[57].

الخاتمة: في نهاية هذا المقال؛ الذي جاء بعنوان "إشكاليّة المُحدّدات الأنثروبولوجيّة لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط"، يجدر بنا استعراض أهم النّتائج التي توصّلنا إليها على النّحو الآتي:

1- إنّ البحث في موضوع القبيلة من المنظور الأنثروبولوجي يُعدّ من ضمن المقاربات المعرفيّة المُقترحة ضمن حقل الأنثروبولوجيا التّاريخيّة، الهادفة إلى إثراء التصوّرات المنهجيّة حول هذا الموضوع الحيوي، بغرض تقديم قراءات من زوايا نظر جديدة ومغايرة للطّروحات التّقليديّة، من خلال إعادة النّظر في القراءات ذات النّزعة التّعميميّة لموضوع القبيلة، التي لا تأخذ بعين الاعتبار

مسألة الخصوصيّة المُميّزة لها في كل فضاء جغرافي، غير أنّه لا ينبغ التسرّع في إطلاق الأحكام حول النتائج المنظرة من هذه المُقاربة التي مازالت في موضع الاختبار.

2- تنفرد التّنظيمات القبليّة بالمغرب الوسيط بجملة الخصوصيّات المرتبطة بهذا الفضاء الجغرافي دون غيره من الفضاءات الأخرى، وهي خصوصيّات يتعذّر فهمها بمعزل عن استحضار سياقاتها التّاريخيّة المتشابكة بالمكوّن الاجتماعي والثّقافي، وهو ما جعلنا لا نميل إلى التّركيز على تواريخ محدّدة، بقدر تركيزنا على استحضار أحداث ونماذج باعتبارها شواهد تفي بالغرض من البحث الهادف إلى رصد المحدّدات الأنثروبولوجيّة لموضوع القبيلة.

3- إنّ الأدوار التي مارستها القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط، هي أحد تجلّيات علاقتها الجدليّة بالمكوّن الثّقافي، باعتباره من العوامل الحاسمة في رسم معالم تلك الأدوار وتغذية مرتكزاتها، وهي أدوار اصطبغت في المرحلة الأولى بالقالب الدّيني في بُعْدِه المذهبي، وفي المرحلة الثّانية بمتلازمتي الحرب والتّحالف ضمن سياق ثقافة الارتزاق.

الهوامش:

1-Bonte Pierre et Izard Michel- Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie- 2ème Editions- Puf- Paris -2002-p 338.

2-أوجيه مارك و كولاين جون بول-الأنثروبولوجيا- ترجمة جورج كتّورة- دار الكتاب الجديدة المتّحدة- بيروت- 2008- ص 25.

3- Bonte Pierre et Izard Michel- op, cit-p 335.

4-لطفي عيسى-ما سبيل إلى الكونيّة دون التّدقيق في مدلول الغيريّة- ضمن أعمال ندوة الأنثروبولوجيا التّاريخيّة المكتسبات والآفاق- الصّادرة ضمن سلسلة الأنثروبولوجيا–الإثنولوجيا- منشورات مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة- تونس-عدد 3- 2010-ص 05.

5-Bonte Pierre et Izard Michel- op, cit-p 720.

6-Ibid-p 720.

7-Auzias Jean-Marie- L'anthropologie Contemporaine-Premier Édition-Puf -Paris-1976- P-99.

8- تأسّس المنظور التطوّري على اعتبار كل الأشكال من المُمارسات والمؤسّسات تمر بشكلٍ موحّدٍ من التحوّلات، وفق مسار خطّي تصاعدي، ولا مجال للخصوصيّة المحلّية، للتوسّع أكثر ؛ يُنظر"De la tribu a l'ethnie"، ضمن كتاب:

-Auzias Jean-Marie- op, cit- pp- 99-106.

9-Bonte Pierre et Izard Michel-op, cit-p720.

10-للإطّلاع بالتّفصيل على مُقترح "جاك بيرك"؛ المرتبط بمفهومه للقبيلة بشمال إفريقيا، أنظر: -بيرك جاك- في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا- ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتّاريخ حالة المغرب العربي- ترجمة عبد الأحد السّبتي وعبد اللّطيف الفلق-ط2 -دار توبقال للنّشر -الدّار البيضاء- 2007- صص113-125.

11-أنجلس روك ماريا-أنثروبولوجيّة الحياة اليوميّة في المتوسّط- ترجمة حسن بن منصور- دار زرياب للنّشر-الجزائر- 2005- ص97.

12-ولد خليفة محمّد العربي- بيرك المفكّر والإنسان من فرندة إلى سان جوليان- مجلّة الثّقافة- منشورات وزارة الثّقافة الجزائريّة- الجزائر- السّنة العشرون-العددان110-111- سبتمبر- ديسمبر1995- ص 36.----13-أنجلس روك ماريا -المرجع السّابق- ص97.

14-المرجع نفسه- ص97.----15-للمزيد من الإطّلاع على فكر "جاك بيرك"، والصّدى الذي تركته كتاباته من المنظور الأنثروبولوجي حول المنطقة المغاربيّة؛ يمكن الرّجوع إلى الدّراسة الآتية: -ولد خليفة محمّد العربي -المرجع السّابق- صص35-49.

16-ابن خلدون عبد الرّحمن- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر- دار الفكر- بيروت- 2000 -ج 6- ص 128.----17-المصدر نفسه--ج 6-ص 128.----18-فاليرين دومينيك- بجاية ميناء مغاربي 1067-1510- ترجمة عمارة

علاّوة -منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة-الجزائر- 2014 -ج1- ص 189.----19-المرجع نفسه- ص 188.----20-ابن خلدون -المصدر السّابق-ج6- ص 120.----21- لطفي عيسى-المرجع السّابق- ص5.

22- للتوسّع أكثر في تلك العلاقة الجدليّة بين المعرفة التّاريخيّة وآليات التّحليل الأنثروبولوجيّة؛ والتي أفرزت ما يُعْرَف ب الأنثروبولوجيا التّاريخيّة، أنظر دوس فرانسوا-التّاريخ المفتّت من الحوليّات إلى التّاريخ الجديد-ترجمة محمّد الطّاهر المنصوري –ط1- المنظّمة العربيّة للتّرجمة- لبنان- 2009- صص247-267.

23-جغلول عبد القادر- مقدّمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط- ترجمة فضيلة الحكيم - ط2- دار الحداثة للنّشر- لبنان -1988- ص33.----24-جعيّط هشام- تأسيس الغرب الإسلامي–القرن الأوّل والثّاني هـ/ السّابع والثّامن م-ط2-دار الطّليعة- بيروت- 2008- ص 21.

25-جغلول عبد القادر -المرجع السّابق- ص33.-----26-المرجع نفسه- ص 33.

27-الكوخي محمّد- سؤال الهويّة في شمال إفريقيا؛التّعدّد والانصهار في واقع الإنسان واللّغة والثّقافة والتّاريخ- إفريقيا الشّرق-الدّار البيضاء-المغرب- 2014- ص68.----28-جغلول عبد القادر -المرجع السّابق-ص34.

29-ارتأينا تناول السّياق التّاريخي المُرتبط بدور القبيلة كفاعل في الحياة السّياسيّة للمغرب الوسيط من خلال مرحلتين، حيث تمّ تحديد المرحلة الأولى بالفترة السّابقة للنّصف الثّاني من القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد (5هـ/11م)، في حين أنّ المرحلة الثّانية وقع تحديدها ما بعد النّصف الثّاني من القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد (5هـ/11م).

30-فليتشر مادلين - الأندلس وشمال إفريقيا في عقيدة الموحّدين- ضمن كتاب الحضارة العربيّة الإسلاميّة في الأندلس- ترجمة عبد الواحد لؤلؤة- تحرير سلمى الخضراء الجيوسي- ط2- مركز دراسات الوحدة العربيّة- بيروت- ج1- 1999- ص367.

31-المرجع نفسه- ص 366.----32-غالم محمّد- ظاهرة المهدي المنتظر-مجلّة إنسانيّات- المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة والثّقافية بوهران- الجزائر- العدد11-ماي-أوت 2000- ص12.

33-فليتشر مادلين -المرجع السّابق- ص366.----34-جغلول عبدالقادر-المرجع السّابق- صص73-74.

35-إنّ الهدف من البحث ليس التّركيز على تواريخ بعينها، بل استحضار أحداث ونماذج تفي بالغرض من الدّراسة الهادف إلى رصد المحدّدات الأنثروبولوجيّة لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط.----36- ابن خلدون-المصدر نفسه-ج7- ص3.

37-للاطّلاع بشكل موسّع على الأدوار السياسيّة لقبيلة زناتة ضمن سياق المكوّن المذهبي أنظر الدّراسة الآتية: بن عميرة محمّد- دور زناتة في الحركة المذهبيّة بالمغرب الإسلامي-المؤسّسة الوطنيّة للكتاب-الجزائر- 1985.----38-ابن خلدون -المصدر السّابق-ج7-ص14.

39-المصدر نفسه-ج7-ص 15.----40-مرّت الدّولة الفاطميّة عبر كامل تاريخها بمرحلتين، وهما المرحلة الأولى المسمّاة بالمرحلة الإفريقيّة، والتي امتدّت من التّأسيس إلى غاية رحيل الفاطميّين إلى القاهرة (296-362هـ/910-973م)، أمّا المرحلة الثّانية فهي المسمّاة بالمرحلة المصريّة، والممتدّة بين (362-567هـ/973-1173م)، بخصوص هذا التّحقيب الزّمني أنظر مرمول محمّد الصّالح- السّياسة الدّاخليّة للخلافة الفاطميّة في بلاد المغرب الإسلامي- ديوان المطبوعات الجامعيّة- الجزائر- 1983- ص9.---41-المرجع نفسه-ص8.---42-ابن خلدون-المصدر السّابق- ج6-ص149.----43-المصدر نفسه- ج6- ص195. ----44-تُعد صنهاجة واحدة من القبائل البربريّة الكبرى، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون بقوله "...هذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد وما بعده، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، حتّى لقد زعم كثير من النّاس أنّهم الثّلث من أمم البربر..."، أنظر:-ابن خلدون- المصدر السّابق-ج6- ص 201.----45- ابن خلدون- المصدر نفسه -ج6- ص203.---46-المصدر نفسه- ج6- ص203.----47-المصدر نفسه-ج6- صص 205-206.

48-تميّز اندراج القبيلة كفاعل في الحياة السّياسيّة خلال هذه المرحلة السّابقة السّابقة للنّصف الثّاني من القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد (5هـ/11م) بنسق تحالف سياسي مُغلّف بالقالب الدّيني في بُعْدِه المذهبي.----49-فليتشر مادلين -المرجع السّابق-ص 366. ---50-المرجع نفسه-ص 367.----51-ابن خلدون- المصدر السّابق-ج6- ص299.----52-للمزيد من التوسّع في أسباب هجرة القبائل الهلاليّة إلى منطقة المغرب-أنظر: -عمارة علاّوة- دراسات في التّاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي- ديوان المطبوعات الجامعيّة-الجزائر- 2008- صص 7-33.

53-القبلي محمّد- حول التحرّكات البشريّة بمجال المغرب الأقصى- ضمن كتاب جوانب من تاريخ السكّان والمجال بالمغرب- تحت إشراف محمّد القبلي-مؤسّسة عبد العزيز آل سعود للدّراسات الإسلاميّة والعلوم الإنسانيّة-الدّار البيضاء- 1998- ص75.

54-المرجع نفسه-ص 76.----55-بشير عبد الرّحمن- من تاريخ تونس الإسلامي؛ إفريقية الإسلاميّة- ط1-عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة- مصر- 2012- ص12.---56-المرجع نفسه-ص12.

57-بوزياني الدرّاجي- نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزّيانيّة- ديوان المطبوعات الجامعيّة- الجزائر- 1993- ص200.